لما رفض محمد الذهاب واصطحابي ذهبت إلى دار عمي لأكون برفقة إبـــراهيم، دفعت الباب ودخلت في الغرفة كان يجلس عمي الذي لم أستطع يوماً تذكر ملامح وجهه، وبيده بندقية وهو يقوم بإصلاحها وقلت في نفسي لعلي أعمل شيئاً مشـــابهاً بهـــا، شـــدت البندقية انتباهي، حيث كان نظري يتركز عليها طيلة الوقت.

ناداني عمي وأجلسني إلى جواره، ووضع البندقية على يديّ، وبدأ يتحـــدث معـــي عنها بحديث لم أكن قادراً على فهمه، ثم مسح على رأســـي وأخرجنـــي مـــن الغرفـــة، واصطحبت إبراهيم وخرجنا من البيت متوجهين إلى أطراف المخيم، لنذهب إلى معسكر الجيش المصري القريب.

حين وصلنا كانت الأمور قد تغيرت تماماً، ذلك الجندي لم ينتظرنا كالعـــادة ولـــم يرحب بنا، الوضع لم يكن طبيعياً والجنود المصريون اعتادوا علـــى اســـتقبالنا بحفـــاوة وترحاب، صرخوا علينا أن نبتعد وأن نرجع إلى أمهاتنا فقفلنا راجعين نجر أذيال الخيبة، إذ لم نحصل على نصيبنا من الفستقية، ولم أكن قادراً على فهم ما حدث من تغيرات، في اليوم التالي أخذت أمي بعض الفراش من البيت وفرشته في تلك الحفرة، ونقلت إبريقين أو ثلاثة من الماء وبعض الطعام وأخذتنا جميعاً إلى تلك الحفرة وأجلستنا فيها، ثم انضـــمت إلينا زوجة عمي وأبناؤها حسن وإبراهيم، كنت متضايقاً من ذلك المكان الضـــيق الـــذي حشرنا فيه دون سبب أعرفه، وقد تركنا الدار وغرفها وساحتها وشوارع أو أزقة الحـــارة ووضعنا هنا رغماً عنا، وكلما حاولت الخروج أو الاندفاع نحو الفتحـــة ســـحبتني أمـــي وأجلستني مكاني في الداخل، بين الحين والآخر كانت تعطي أنا كسرة من الخبز وبضـــع زيتونات.

بدأت الشمس بالغياب وضوء النهار يتلاشى والظلام يزداد في الحفرة التي أوينـــا إليها وبدأ الخوف يتسرب إلى نفوسنا نحن الصغار فبدأنا نتصايح ونتدافع للخروج، وأمي وزوجة عمي تمنعاننا ثم نحاول الخروج فتصرخان يا أولاد الدنيا حرب ألا تعرفون معنى الحرب، حينها لم أكن أعرف معنى الحرب ولكنني عرفت أنها شيء مخيف غير عادي، ومظلم وخانق.

تكرر تدافعنا وتكرر منعنا من الخروج فبدأت أصوات بكائنا تعلو تـــدريجياً، وهمـــا تحاولان تهدئتنا دون جدوى، حينها قال محمود هل أحضر السراج يا أمي لنشعله (ياما أجيب الضو نولعه) فأجابت نعم يا محمود، اندفع محمود يخرج من الخندق فسبقت إليه يد أمي لتمسك به وتمنعه من الخروج وهي تقول لا تخرج يا محمود (تطلعش ياما).